
أحمد خليل جمعة
نساء من عصر التابعين
فاطمة بنت علي
www.dawahmemo.com
دار ابن كثير
دمشق - بيروت

(١٣)

فاطمة بنت عليّ

* بنت فاطمة الزهراء ، محبّة للعلم ، راوية للحديث النبوي ، عابدة ، فقيهة ، من المعمّرات .

فَاطِمَةُ بِنْتُ عَلِيّ

الذُّرِّيَّةُ الطَّيِّبَةُ :

* عندما ذكَرَ الطَّبريُّ وابنُ الأثير ـ رحمهما الله ـ في تاريخَيْهما ذريّة سيّدنا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قالا :

جميع ولد عليّ ـ رضي الله عنه ـ لصُلْبه أربعة عشر ذكراً ، وسبْعَ عشرة امرأة . وكان له بنات من أمهات شتى لم يُسَمَّ لنا أسماء أمهاتهن منهن : أمُّ هانئ ، وميمونةُ ، وزينبُ الصُّغرى ، ورملةُ الصُّغرى ، وأمُّ كلثوم الصُّغرى ، وفاطمةُ ، وأمامةُ ، وخديجةُ ، وأمُّ الكرام ، وأمُّ سلمة ، وأمُّ جعفر ، وجمانةُ ، ونفيسةُ بنات عليّ ـ رضي الله عنه ـ ، أمهاتُهن أمهات أولاد شتّى ؛ أمّا زوجه فاطمة الزَّهراء فقد ولدت له من الإناث : زينب[1] الكبرى ،وأمّ كلثوم[2] الكبرى . وأما زوجه أمّ سعيد بن عروة الثقفية فولدت له أمّ الحسن ورملة الكبرى . ومجموع هؤلاء سبع عشرة امرأة[3] .

* وحديثنا عن واحدة من هؤلاء البنات الطّاهرات وهي : فاطمةُ

---

(١) اقرأ سيرة زينب بنت علي في هذا الكتاب .

(٢) اقرأ سيرة أم كلثوم بنت علي في هذا الكتاب .

(٣) تاريخ الطبري (٣/١٦٢) ، والكامل (٣/٣٩٨) .

بنتُ عليّ بن أبي طالب الهاشمية ، أمُّها أمّ ولد ، وهي فاطمة الصُّغرى[1] .

* ويبدو أنَّ فاطمةَ هذه أصغرُ بنات سيِّدنا عليّ ـ رضي الله عنه ـ ، وقد سمّاها فاطمة إحياء لذكرى زوجه فاطمة الزَّهراء ـ رضوان الله عليها ـ ، ولشدّة الشَّبه بينهما .

* ولا نستطيع تحديد مولد فاطمة الصُّغرى هذه ، غير أنَّ الدلائلَ تشيرُ إشاراتٍ تدعونا إلى القول بأنّها ولدت في حدود سنة (٣٠ هـ) تقريباً ـ والله أعلم ـ .

* وعندما أصبحت فاطمة في سنّ الزَّواج ، وبلغت مبلغ النّساء ، تزوَّجها محمّد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب ؛ فولدت له : حميدة بنت محمد . ثم خلف عليها سعيد بن الأسود ؛ فولدت له برزة وخالداً . ثم خلف عليها المنذر بن عبيدة بن الزّبير بن العوّام ؛ فولدت له عثمان وكبرة[2] .

* * *

حُبُّها للعِلْم والرِّوَايَة :

* منذ أنْ نشأتْ فاطمة بنت عليّ ـ رحمها الله ـ ، تعلّقتْ بالعلمِ وحبِّ الرِّواية للأحاديث النّبويّة الشَّريفة ، فكانت تلميذةً نجيبةً لزوجةِ أبيها أسماء بنت عميس[3] الصَّحابية المشهورة ـ رضي الله عنها ـ ، فقد

(١) الطبقات (٤٦٥/٨) ، وتهذيب التهذيب (٤٤٣/١٢) .
(٢) الطبقات (٤٦٥/٨ و ٤٦٦) ، ونسب قريش (ص ٤٦) .
(٣) اقرأ سيرة هذه الصحابية الجليلة في كتابنا « نساء من عصر النبوة » الجزء الثاني .

روت كثيراً من حديث رسول الله ﷺ . كما أنها روت عن أخيها محمّد بن علي المشهور بمحمّد بن الحنفيّة .

* وقد تلقّى عنها العلمَ وروَاهُ عددٌ كبيرٌ من علماء عصر التّابعين ، وفي مقدمة هؤلاء : الحارث بن كعب الكوفي ، والحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعم ، وعروة بن عبد الله بن قشير ، وعيسى بن عثمان ، وموسى الجهني[1] ، ونافع بن أبي نعيم القارئ وغيرهم .

* وقد روى لها الإمام النّسائي في سننه .

* * *

نَماذِجُ منْ مَروِيّاتِها :

* قال ابنُ سعد في « الطّبقات » :

وقد بقيتْ فاطمةُ بنتُ عليّ ، وروى عنها .

* وأخرج ابنُ سعد بسندهِ عنها قالت :

(١) موسى بن عبد الله الجهنيّ ، أبو سلمة التّابعيّ ، روى عن زيد بن وهب ، ومصعب بن سعد ، وفاطمة بنت علي وآخرين .
وروى عنه شعبة والثوريّ والحسن بن صالح وعدد من أكابر علماء التّابعين . وثّقه القطان وابن معين والعجليّ . وذكره ابن حبّان في الثقات . قال ابنُ سعد : كان ثقةً قليلَ الحديث .
وعن يعلى بن عُبيد قال : كان بالكوفة أربعة من رؤساء النّاس ونبلائهم وذكره منهم .
وعن مسعر قال : ما رأيتُ موسى الجهنيّ إلا وهو في اليوم الآتي خيرٌ منه في اليوم الماضي ، توفي سنة (١٤٤ هـ) رحمه الله . (تهذيب التهذيب : ٣٥٤/١٠ و ٣٥٥) .

قال أبي عن رسول الله ﷺ : « مَنْ أعتقَ نسمةً مسلمة أو مؤمنة وقى الله بكلّ عضو منه عضواً منه في النّار »[1] .

* ومما روته فاطمة ، ما أخرجه ابنُ عساكر رحمه الله بسنده عن موسى الجهنيّ عنها ، عن أسماء بنت عميس قالت : إنّها سمعتِ النّبيَّ ﷺ يقول :

« يا عليّ أنتَ مني بمنزلةِ هارونَ من موسى إلا أنّه لا نبيَّ بعدي[2] » .

* * *

أخلاقُهَا وَعِبَادَتُهَا وفِقْهُهَا :

* نشأت فاطمةُ بنتُ علي ـ رحمها الله ـ نشأةً خالصة من كلِّ شائبة ، فكانت تحبُّ الصّراحة قولاً وفعلاً ، وتكره أنْ تميلَ إلى الرّياء مهما كانت صُوره ، بل كانت ترفض طريق الرّياء ، أو الوسائل المؤدية إليه ، فقد حدَّثَ راويتها عيسى بن عثمان عن أخلاقها في هذا المجال فقال :

كنتُ عند فاطمة بنت علي ، فجاء رجل يثني على أبيها عندها ، فأخذت رماداً فسفّتْ في وجهه .

* وكانت ـ رحمها الله ـ تكثر التّدبر في آيات الله عزَّ وجلَّ ، وتتفكّرُ في أمور الحياة وشؤونها حتى أضناها السّهر من التفكير في هذه

(١) الطبقات الكبرى (٤٦٦/١) .

(٢) تاريخ دمشق (ص ٢٩٨) .

الأمور ، وشكت ما يعتريها من كثرة السّهر والفكر إلى أخيها محمّد بن عليّ ـ ابن الحنفيّة ـ فقال لها : اجعلي سهرك وفكرك في ذِكْرِ الموت[1] .

قالت فاطمةُ : ففعلتُ ما أمرني به أخي ، فذهبَ عني السّهر والفكْر .

* وتدلُّ أخبار فاطمة ـ رحمها الله ـ على أنّها كانت على جانب كبيرٍ من العبادة ، وفقهِ أحكام النّساء ، وكانت تكره أنْ تتشبّه النّساءُ بالرّجال ؛ حدَّث عروة بن عبد الله بن قُشير أنه دخل على فاطمة بنت علي بن أبي طالب قال : فرأيتُ في يدها مَسَكاً ـ أساور ـ غلاظاً ، في كلّ يد اثنين اثنين ، قال : ورأيتُ في يدها خاتماً ، وفي عنقها خيطاً فيه خرز ؛ قال : فسألتها عنه فقالت : إنَّ المرأةَ لا تشبّه بالرّجال[2] .

* * *

(١) في استحباب ذكر الموت ، رغّبَ الشّارعُ في تذكّر الموت ، والاستعداد له بصالح الأعمال ، وعدّ ذلك من دلائل الخير ، فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : أتيتُ النّبيَّ ﷺ عاشر عشرة ، فقام رجلٌ من الأنصار فقال : يا نبي الله ، من أكْيسُ النّاسِ وأحْزمُ النّاس ؟ قال : « أكثرهُمْ ذكراً للموت ، وأكثرهم استعداداً للموت ، أولئك الأكياس ؛ ذهبوا بشرف الدّنيا وكرامة الآخرة » . وعنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من ذكر هادم ـ قاطع ـ اللذات » ـ يعني الموت ـ رواهما الطبراني بإسناد حسن . وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ في قول الله عز وجل : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يهديَه يشرح صدره للإسلام ﴾ [الأنعام : ١٢٥] قال : « إذا دخل النّور القلب انفسح وانشرح » ، قالوا : هل لذلك من علامة يعرف بها ؟ قال : « الإنابة إلى دار الخلود والتّنحي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت » رواه ابن جرير . وفي هذا دليل على فقه ابن الحنفية ـ رحمه الله ـ ، وفقه فاطمة بنت علي ـ رحمها الله ـ .

(٢) السمط الثمين (ص ١٥٩) .

فاطِمَةُ في الشَّامِ :

* في المحرّمِ من سنة إحدى وستين من الهجرة ، كانت فاطمةُ مع أخيها الحسين بنِ علي ـ رضي الله عنهما ـ لما قُتل في كربلاء ، ثم قُدِمَ بها دمشق في عيال الحسين بعد قَتْله ، ودُخل بهم على يزيدَ بنِ معاوية ، وكان لها قصة عند يزيد .

* ذكر الحارث بن كعب تلك القصة عن فاطمة أنّها قالت :

لمّا جلسنا بين يدي يزيد رقَّ لنا ، وأَمَرَ لنا بشيء ، وألطفنا ، ثم إنَّ رجلاً من أهل الشَّام أَحْمَرَ قام إلى يزيد فقال :

يا أمير المؤمنين ، هَبْ لي هذه ـ يعنيني ـ وكنتُ جاريةً وضيئةً ، فارتعدتُ فَزِعةً من قوله ، وظننتُ أنَّ ذلك جائز لهم ، فأخذتُ بثياب أختي زينب ـ وكانت أكبر مني وأعقل ؛ وكانت تعلم أنّ ذلك لا يجوز ـ فقالت لذلك الرّجل : كذبتَ والله ولؤمتَ ، ما ذلك لكَ وله .

فغضبَ يزيد فقال لها : كذبتِ ! والله إنَّ ذلك لي ، ولو شئتُ أنْ أفعله لفعلت .

قالت : كلا ! واللهِ ما جعلَ الله ذلك لك إلا أنْ تخرجَ من ملّتِنا ، وتدين بغيرِ دِيْننا .

فغضبَ يزيد واستطار ثم قال : إياي تستقبلين بهذا ؟ إنّما خرج من الدّين أبوكِ وأخوك . فقالت زينب : بدينِ الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديتَ أنتَ وأبوكَ وجدّك .

قال : كذبتِ يا عدوّة الله .

قالت : أنت أمير المؤمنين مسلّط ، تشتم ظالماً ، وتقهرُ بسلطانك .

قالت فاطمة : فوالله لكأنّه استحى فسكت . ثم قام ذلك الرّجل فقال : يا أمير المؤمنين هَبْ لي هذه ـ وأشار إليّ ثانية ـ .

فقال له يزيد : اغرب ، وهب الله لك حتفاً قاضياً .

ثم إنّ يزيدَ أمر النّعمان بن بشير الأنصاريّ ، أنْ يبعث بآلِ الحسين إلى المدينة المنوّرة ، وأنْ يبعث معهم رجلاً أميناً ديّناً معه رجال أمناء وخيل وسلاح لحمايتهم حتى يوصلهم مأمنهم .

* وبعد ذلك أنزل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان النّساء عند حريمه في دار الخلافة ، ونزلت فاطمة وأخواتها ونساء الحسين دار يزيد ، فاستقبلتهن نساء آل معاوية يبكين الحسين وقتلى آل هاشم ومن قُتل بكربلاء ، ومن ثم ودّعهم يزيد ، وجهزهم بجهازهم ، وكساهم وأعطاهم مالاً كثيراً ، وأوصى بهم في ذلك الرّجل الشّامي الأمين ، وقال له : كاتِبني بكلّ حاجة تكونُ لك . فكان ذلك الرّجل من خيرة الرّجال ، يخدمُهم ويحوطُهم برعايته حتى وصلوا المدينة المنوّرة ؛ فقالت فاطمة لأختها زينب ، وقد أحبّتْ أنْ تكافئَ الرّجل الشّامي وتردُّ عليه بالإحسان : يا أخيّة ، إنّ هذا الرّجل الذي أرسل معنا قد أحسن صحبتنا ، فهل لكِ أنْ نصِله ؟

ووافقت زينب ، وبعثتا له حليّهما واعتذرتا إليه وقالتا له : هذا جزاؤك بحُسْنِ صحبتك لنا ، فجزاك الله خيراً .

فقال : ما فعلتُ ذلك إلا لله عزّ وجلّ ، ولقرابتكم من رسول الله

ﷺ ، وأبى أنْ يأخذَ شيئاً .

* * *

أهْلُ السِّيَادَةِ :

* لفاطمةَ بنتِ علي ، وآل بيت النّبيّ الكريم ﷺ مكانة سامية في نفوس النّاس على اختلاف طبقاتهم ، فأهل البيت هم مجمع العلم والفضل ، وأهل التُّقى والأدب ، لذلك كانت تهفو إليهم النُّفوس الصَّافية ، وتتقرّبُ بحبّها إليهم ، لتحظى بمرضاة الباري جلَّ جلاله ، ولله درّ مَنْ قال :

فلا تَعْدلْ بأهلِ البيتِ خَلْقاً
فأهلُ البيتِ هم أهل السِّيادة
فبغضُهُمْ مِنَ الإنسان خُسْرٌ
حقيقيٌّ وحبُّهُمْ عِبادة

وما أجمل قول الآخر في هذا المعنى :

مديحُ آل النّبيّ عندي
« خيرٌ من اللهو ومِنَ التجارة »[1]
أنجو بهم من عذاب نار
« وقودها النّاس والحجارة »[2]

* ولذلك ، وعندما كان عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ والياً على

(١) اقتباس من سورة [الجمعة : ١١] .
(٢) اقتباس من سورة [التحريم : ٦] .

المدينة المنورة(١) ، كان يكرم فاطمة بنت علي وآل البيت إكراماً منقطعَ النَّظير ، وكانت فاطمة ـ رحمها الله ـ إذا ذكرتْ عمر أثنتْ عليه وأكبرت عمله لبرّه بها وبأقاربها ، حدَّثَ جويريةُ بنُ أسماء عنها هذا كما وردَ في « الطَّبقات » فقال :

سمعتُ فاطمة بنتَ عليّ بن أبي طالب ذكرتْ عمر بن عبد العزيز فأكثرتِ التَّرحّمَ عليه وقالت :

دخلتُ عليه وهو أمير المدينة يومئذ ، فأخرج عني كلّ خصيّ وحَرَسيّ حتى لم يبقَ في البيت أحد غيري وغيره ثم قال :

يا ابنة عليّ ، والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحبّ إليّ منكم ، ولأنتم أحبّ إليَّ من أهل بيتي .

وكأنَّ الشَّاعر عناه بقوله :

حبُّ آل النَّبـيّ خـالطَ عظمـي
وجـرى في مفـاصـلي فـاعـذروني
أنـا والله مغـرمٌ بـهـواهـم
عـلّلوني بـذكرهـم عـلّلوني

(١) تولّى عمر بن عبد العزيز المدينةَ ومكة من سنة (٨٦ هـ إلى ٩٣ هـ) ، فكان في مدة ولايته من أحسن النَّاس معاشرة ، وأعدلهم سيرة ، فكان إذا وقع له أمر مشكل جمع فقهاء المدينة ، وقد عيَّن عشرة منهم ، وكان لا يقطع أمراً من دونهم ، أو من حضر منهم ، والفقهاء العشرة هم : عروة بن الزّبير ، عبيدُ الله بن عبد الله بن عتبة ، أبو بكر بن عبد الرحمن ، أبو بكر بن سليمان بن خيثمة ، سليمانُ بن يسار ، القاسمُ بن محمّد ، سالم بن عبد الله بن عمر ، عبد الله بن عبد الله بن عمر ، عبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد ـ رحمهم الله ـ .

* ومن الجدير بالذكر أنَّ برّ عمر بن عبد العزيز كان يلحق كلَّ واحد من آل البيت، وشهدت له بهذا البرّ إحدى سيدات بيت النبوة وهي فاطمةُ بنت الحسين[1]، إذ كتبتْ إليه تشكره، وتقسمُ بالله: يا أمير المؤمنين، لقد أخدمت مَنْ كان لا خادم له، واكتسى منهم مَنْ كان عارياً. فسُرّ بذلك عمر ـ رحمه الله تعالى ـ.

* وهذه شهادة أخرى ـ بهذا الخصوص ـ وهذا الرَّجل من آل البيت وهو عبد الله بن محمّد بن عقيل بن أبي طالب قال:

أول مال قسمه عمر بن عبد العزيز لمالٌ بعث به إلينا أهل البيت، فأعطى المرأة منّا مثل ما يُعطى الرّجل، وأعطى الصّبيّ مثل ما تُعطى المرأة، فأصابنا أهل البيت ثلاثة آلاف دينار[2].

* * *

رحْلَةُ الخُلُودِ والحَقِّ:

* فاطمةُ بنتُ علي من النّساء التّابعيات اللاتي امتدت بهن الحياة إلى ما بعد القرن الهجريّ الأول، وكانت من النّسوة المعمّرات، ولعلّها قد تجاوزت التّسعين، ويدلّ على هذا ما قاله موسى الجهنيّ:

دخلتُ على فاطمة بنت علي وهي ابنة ست وثمانين سنة، فقلت لها: تحفظين عن أبيك شيئاً؟ قالت: لا.

---

(١) اقرأ سيرة فاطمة ابنة الحسين في هذا الكتاب ففيها كثير من الإشراقات اللطيفة.
(٢) الطبقات (٣/٣٩٢).

* وفي سنة (١١٧ هـ) كانت رحلة الخلود لفاطمة ، تلك الرّحلة الأبديّة التي لقيتْ فيها الله عزّ وجلّ ، بعد عُمرٍ مديد قضته في الطّاعات ـ رحمها الله ـ .

* وممن توفي في هذه السُّنة من التّابعيات : عائشة بنت سيدنا سعد بن أبي وقّاص ، وكان وفاتها بالمدينة المنورة ، وقد رأت ستاً من أمهات المؤمنين ، وعاشت أربعاً وثمانين عاماً ـ رحمها الله ـ .

وتوفيت أيضاً ، سُكينة ابنة سيدنا الحسين بن علي ـ ابنة أخي فاطمة صاحبة هذه الترجمة ـ وكانت وفاتها بالمدينة المنورة أيضاً .

* أما عن مكان وفاةِ فاطمة بنت علي ـ رحمها الله ـ ، فيقول صاحب كتاب « حدائق الإنعام في فضائلِ الشّام » : وقبر فاطمة بنت الإمام علي بمقبرة باب الصّغير ـ بدمشق ـ وعليه بناءٌ وهيبة ، معروف يُقصد بالزيارة[1] .

رحم الله فاطمة بنت علي ، ونضّر قبرها ، ونجّاها من النّار ، وأدخلها الجنّة مع الأبرار .

* * *

---

(١) حدائق الإنعام (ص ١٤١) .